

دلائل الإعجاز

عليه في الوَضْعِ اللُّغَوِيِّ وعلى خلاف ما ثبتت به الرواية عن العرب ،
وجملة الأمر أنَّهُ لا يرى النِّقَمَ يدخل على صاحبه في ذلك إلا من جهة نقصه في علم
اللُّغَةِ لا يعلم أنَّهُ ها هُنَا دقائق وأسراراً طريق العلم بها الرويِّية والفكر
ولطائف مُسْتَقَاهَا العَقْلُ وخصائص معانٍ ينفرد بها قومٌ قد هُدُوا إليها ودُلُّوا
عليها وكُشِفَ لهم عنها ورُفِعَتْ الحجبُ بينهم وبينها وأنَّها السَّبَبُ في أنْ عرِضَتْ
المزيِّية في الكلام ووجِبَ أنْ يفضَّلَ بعضه بعضاً وأنْ يَدْعُدَ الشَّؤُ في ذلك
وتمتدُّ الغاية وعلو المرتقى ويعزُّ المطلب حتى ينتهي الأمر إلى الإعجاز
وإلى أن يخرج من طَوْقِ البَشَرِ .

ولمَّا لم تَعْرِفْ هذه الطائفة هذه الدقائق وهذه الخواصِّ واللطائف لم
تَتَعَرَّضْ لها ولم تَطْلُبْهَا ، ثمَّ عنَّ لها بسوء الاتفاق رأيٌ صار حجازاً بينها
وبين العلم بها وسداً دون أن تصل إليها وهو أن ساء اعتقادها في الشَّعْر الذي
هو معدنُّها وعليه المَعْوَلُ فيها وفي علم الإعراب الذي هو لها كالنَّاسِبِ الذي
يَنْدُمِيهَا إلى أصولها ويبيِّنُ فاضلاًها من مَفْضُولِهَا . فجعلتْ تُظهِرُ الزُّهْدَ في
كلِّ واحدٍ من الذَّوَعِينِ وتطرحُ كلاً من الصَّنْفَيْنِ وترى التَّشَاغُلَ عنهما أولى من
الاشتغال بهما والإعراض عن تدبُّرهما أصوب من الإقبال على تعلُّمهما .
أما الشَّعْرُ فَخَيْبٌ لَهَا إليها أنه ليس فيه كثيرٌ طائلٍ وأنَّ ليس إلا مُلَاحَظَةً أو
فكاهةً أو بكاءً